جهود السلطان صلاح الدين الأيوبي ودوره في ازدهار الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام.

د.علي محمد فريد علي*

الملخص:

تتناول هذه الدراسة جهود السلطان صلاح الدين الأيوبي ودوره في تطور الحركة العلمية الطبية وازدهارها في بلاد الشام، من خلال إستعراض جهوده في بناء بيمارستانات(مستشفيات) جديدة، اتسع نشاطها في عهده لتصبح مراكز ومعاهد لدراسة الطب وتدريسه إلى جانب البيمارستانات والمعاهد القديمة السابقة لعصره، ورفدها بالكادر التعليمي الطبي المتميز، وتزويدها بالأدوية والعقاقير الطبية اللازمة، وتوزيعها على المرضى مجاناً، والإشارة إلى أوقاف السلطان صلاح الدين المخصصة للإنفاق في المجال الطبي وبيان أثرها الإيجابي، فقد كان أول من سن في دولته الوقف التعليمي، وصار قدوة حسنة لرعيته في هذا الشأن، ومن ثم تتبع دور السلطان صلاح الدين في تهيئة البيئة العلمية الطبية الملائمة من خلال إهتمامه بعلماء الطب ورعايته لهم، وسخائه في الإنفاق عليهم. وبيان أثر ذلك في هجرة العديد من مشاهير علماء الطب إلى بلاد الشام من شتى الأقطار الإسلامية، مما ساهم في إزدهار الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام.

* - أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، المشارك بجامعتي الملك سعود بالمملكة العربية السعودية، وجامعة عدن باليمن.

Abstract:

This paper deals with the efforts of sultan Salah al-Din al-Ayyubi known as Saladin in developing the medical environment in Syria through the establishment of medical institutions such as hospitals (Bimarstans), medical schools and centers and providing them with distinguished teachers and drugs which were given to patient freely . the papers also deals with the endowments allocated by Saladin to provide for medical institutions with financial support for which he was the first. Saladin also was known for his support and generosity with medical scholars which resulted in the migration of many prominent doctors to Syria from various muslim state which led to a flourishing scientific medical movement there.

مقدمة:

إن دراسة عوامل تطور الحياة العلمية وازدهارها في بلاد الشام في العصر الأيوبي عامة، وعصر السلطان صلاح الدين خاصة، تعد من المواضيع ذات القيمة العلمية الكبيرة؛ لأن هذا العصر يعد من العصور المتميزة في تاريخ بلاد الشام، إذ شهدت خلاله هذه البلاد نهضة علمية وفكرية واسعة، شملت جميع فروع العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية والعلوم التطبيقية والعقلية.

كانت شخصية السلطان صلاح الدين الأيوبي على قدرٍ كافٍ من الثقافة والعلم، إذ كان حافظًا للقرآن الكريم، وراويًا للحديث النبوي الشريف، وصاحب ذوق لطيف في رواية الشعر وحفظه، فضلاً عن اهتمامه بالتاريخ، واللغة، والعلوم العسكرية، والفنون القتالية[1]. لذا فلا غرو أن يكون له إسهام واضح وجلي في ازدهار الحركة العلمية في البلدان الخاضعة لدولته ، وبخاصة مصر وبلاد الشام.

كما تميز السلطان صلاح الدين بحبه لمجالس العلم، وإهتمامه الفائق بالعلماء، وحرصه الشديد على تقريبهم منه، والاستعانة بهم، والاستفادة من خدماتهم، يقول العماد الأصفهاني: "كانت محاضره مصونة من الحظر ... ومحافله حافلة آهلة بأهل الفضل... ويؤثر سماع الأحاديث بالأسانيد، وتكلم العلماء عنده في العلم الشرعي المفيد، وكان لمداومة الكلام مع الفقهاء ومشاركة القضاة في القضاء أعلم منهم في الأحكام الشرعية، والأسباب المرضية والأدلة الشرعية..."[2].

ويذكر العماد الأصفهاني أنه حين إستقر الأمر للسلطان صلاح الدين في بيت المقدس، وتم له استلام ما بقربها من حصون، أخذ بعد ذلك بتوزيع ما جمع على ذوي الاستحقاق وكل في مصرفه، فكثر الشعر والنثر، وحاز كل ذي فضيلة منه فضلاً، "فما ترى إلاّ قارئًا باللسان الفصيح، وراوياً للكتاب الصحيح، ومتكلماً في مسألة، ومتفحصاً في مشكلة، وموردا لحديث نبوي ، وذاكراً لحكم مذهبي، وسائلاً عن لفظ لغوي، ومعنى نحوي، أو مقرضاً بقريض، أومعرضاً بتصريح، أومصرحاً بتعريض، أو جالباً لمدحه، أو طالباً لمنحة، أو مستضعفاً بفاقة، أو مستسعفاً بإفاقة، أوناشداً بنشيد، أو مسمعاً بتغريب وتغريد"[3].

ومما يدل على إزدهار الحركة العلمية في بلاد الشام زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي، ماذكره الرحالة إبن جبير حين زار مدينة دمشق ودخل الجامع الأموي وكان يعج بالعلماء وطلاب العلم، فرأى الزوايا التي كان الطلاب قد اتخذوها للدرس والنسخ، وشاهد المكان الذي كان يعتكف فيه الإمام أبو حامد الغزالي، ورأى ما كان يعقد فيه من حلقات الدراسة، وماينفق على طلبتها ومدرسيها. فمما قاله في هذا الشأن: "وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم، فلا تخلو القراءة منه صباحًا ولا مساءً، وفيه حلقات التدريس للطلبة

والمدرسين فيها إجراء واسع"[4].

وجمع بلاط السلطان صلاح الدين جمهرة من العلماء والكتاب المتميزين الذين إعتمد عليهم في إدارة الدولة، كالقاضي الفاضل[5]، وابن شداد القاضي[6]، وعماد الدين الكاتب[7]. فقد كان هؤلاء دعامة الحكم في عهد صلاح الدين وموضع ثقته البالغة[8]، ولم يجتمع–كما يقول ابن العديم-بباب أحد في الملوك بعد سيف الدولة بن حمدان[9]ما اجتمع ببابه، وزاد على سيف الدولة في الحباء والفضل والعطاء"[10]، وكان يكرم من يرد عليه من المشائخ وأرباب العلم والفضل وذوي الأقدار[11].

ومما يوضح مقدار ما كان ينفقه السلطان صلاح الدين على العلماء من الأموال ما جاء في كتاب بعث به إليه القاضي الفاضل يقول فيه: "وما يجب أن يعلم المولى أن أرزاق أرباب العمائم في دولته إقطاعًا وراتبًا يتجاوز مائتي ألف دينار بشهادة الله، وربما كانت ثلاثمائة"[12]. ولاشك أن هذه الموازنة الكبيرة المخصصة للإنفاق على التعليم تدل على سخاء السلطان وإهتمامه بدعم العلم والعلماء في إرجاء دولته، مما انعكس بصورة إيجابية على الأوضاع العلمية.

ظهر دور السلطان صلاح الدين جلياً في إزدهار الحركة العلمية في بلاد الشام خاصة من خلال بناء المساجد والمدارس والبيمارستانات والأربطة والخوانق[13]، وتقريب العلماء والأطباء وإكرامهم وبذل الأعطيات والأموال لهم، ووقف الأوقاف الكثيرة الدارة على تلك المرافق[14]مما كان حافزًا على التدريس والتأليف والتصنيف في شتى أنواع العلوم والمعارف، وكانت الحركة العلمية الطبية جزءًا أصيلاً من هذه الحركة العلمية الواسعة، وغدت بلاد الشام قبلة للعلماء من الأقطار الإسلامية المختلفة.

وحظي الطب والأطباء في بلاد الشام على قسطٍ وافرٍ من إهتمام

السلطان صلاح الدين الأيوبي ورعايته، ووصل في عهده إلى مستوى متقدم من التطور والرقي، والنضج الفكري والعلمي، وما قدمه الطبيب المسلم من دراسات ومصنفات في هذا المجال، إضافة إلى الممارسات العلمية لمهنة الطب من خلال العمل في البيمارستانات الطبية المختلفة القديمة والحديثة التي انتشرت في بلاد الشام، إذ لم تخل مدينة كبرى من مدن الشام إلا وبني فيها بيمارستان أو أكثر لعلاج المرضى، ومن ثم كانت أماكن مهمة لتعليم الطلب بشكل علمي. كما كانت المساجد الجامعة في حلب ودمشق وبيت المقدس تعد ضمن الأماكن التي إستخدمت لتعليم الطلب النظري[15].

إن ازدهار الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام في عهد السلطان صلاح الدين يعود لجملة من العوامل، أهمها: وفرة البيمارستات والمراكز والأماكن المخصصة لدراسة الطب وتعليمه. وكثرة الأوقاف العلمية الخيرية المخصصة للإنفاق على التعليم. كما أن حرص السلطان صلاح الدين على تهيئة بيئة علمية ملائمة لدراسة العلوم الطبية وتدريسها ساعد في ازدهار العلوم الطبية، وأدَّى إلى هجرة كثير من علماء الطب إلى بلاد الشام من الأقطار الإسلامية المختلفة.

وغايتنا الأساسية في هذا البحث استجلاء أثر السلطان صلاح الدين الأيوبي وتوضيح دوره في ذلك، من خلال الحديث عن جهوده في بناء البيمارستانات الجديدة، والإنفاق عليها، ومظاهر إهتمامه بعلماء الطب ورعايته لهم والإنفاق عليهم.

1- جهود السلطان صلاح الدين الأيوبي في بناء البيمارستانات في بلاد الشام والإنفاق عليها:

نشطت الحركة العمرانية في مجال التعليم والصحة في عصر الدولة الأيوبية عامة، وعصر السلطان صلاح الدين خاصة، وتنوعت مجالاتها. إذ تم بناء كثير من المدارس والمساجد والمكتبات وترميمها، والزوايا والخوانق والأربطة والبيمارستانات الكبيرة والصغيرة في كل من مصر وبلاد الشام. إذ يذكر ابن شداد أن السلطان صلاح الدين بمجرد تثبيت دعائم حكمه في بيت المقدس سنة583هـ، وذلك بعد أن حررها من دنس الصليبيين وطردهم منها، أمره بتشييد أسوار القدس وببناء بيمارستان ومدرسة فيها، وفوض الإشراف على هذه المرافق إليه. يقول مشيرا إلى ذلك: "أمرني السلطان بالمقام في القدس لعمارة بيمارستان أنشأه فيه، وإدارة المدرسة التي أنشأها فيه إلى حين عودته... "[16].

ويذكر العليمي أن السلطان صلاح الدين"جعل الكنيسة المجاورة لدار الإسبتارية بقرب كنيسة القيامة[17]مارستانا للمرضى"[18]، سمي بالبيمارستان الصلاحي[19]. وذكر النويري أن السلطان أمر بتزويده بالأدوية والعقاقير الطبية الغزيرة، وتوزيعها على المرضى دون مقابل[20]، ثم أمر بتطويره بشكل أكثر إيجابية ليصبح أكثر اتساعًا للمرضى[21].

ويشير عارف العارف في كتابه(تاريخ القدس) إلى أن البيمارستان كان فيما مضى يشمل المكان المعروف بسوق البازار والبقعة الكائنة في شماله، وشطراً من الأرض التي تقوم عليها كنيسة الدباغة، وشطراً من الأرض التي تقوم عليها سوق افتيموس[22].

ومن أشهر الأطباء الذين خدموا بصناعة الطب في البيمارستان الصلاحي بالقدس: يعقوب بن صقلاب النصراني المقدسي(ت:625هـ)، الذي خدم في

البيمارستان منذ تأسيسه إلى سنة 615هـ، والطبيب رشيد الدين الصوري(ت: 639)، وكان وحيد زمانه في معرفة الأدوية وماهيتها، وإختلاف أسمائها وصفاتها، وخواصها وتأثيراتها[23].

وكان للبيمارستان الصلاحي دور في تعليم الطب نظرياً وعملياً، شأنه في ذلك شأن البيمارستانات الطبية الإسلامية الأخرى التي كانت تعد مراكز مهمة لتعليم الطب. فابن أبي أصيبعة يذكر في سياق ترجمته للطبيب موفق الدين يعقوب بن صقلاب: أنه لازم بالقدس رجلاً فاضلاً فيلسوفاً راهباً في دير السيف، فتعلم منه جملة من العلوم الفلسفية والحكمية، وإجتمع بالشيخ أبي مصعب النصراني الطبيب، وتعلم منه الطب. وممن درس الطب في بيمارستان القدس، الطبيب سديد الدين ابن منصور بن يعقوب بن صقلاب، قرأ على والده وعلى غيره، وأصبح من أفضل الأطباء المتميزين في صناعة الطب[24]، ودخل مدينة القدس عدد من الأطباء المشاهير الذين كانت لهم مساهماتهم في تعليم الطب، أمثال: موفق الدين عبد اللطيف البغدادي(ت: 629هـ)[25]. وكان الأطباء يأخذون رواتبهم من الخزانة السلطانية، أو من الأوقاف المخصصة للبيمارستان[26].

ومن البيمارستانات الطبية التي بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام وكان لها دور في علاج المرضى وتعليم الطب (بيمارستان عكا)، فبعد أن فتح السلطان بيت المقدس ورتب شؤونها انصرف إلى دمشق وأجتاز في طريقه إلى عكا، ولما وصل إليها نزل بقلعتها ووكل بعمارتها وتجديد محاسنها بهاء الدين قراقوش[27]، ووقف دار الإسبتار نصفين على الفقراء والفقهاء، وجعل دار الأسقف مارستانًا للمرضى[28]، ووقف على ذلك أوقافًا دارة، وولى نظر ذلك لقاضيها جمال الدين ابن الشيخ أبي النجيب السهروردي وعاد إلى دمشق مؤيدًا منصورًا[29].

والراجح أن البيمارستانات التي بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام كانت مزودة بالتجهيزات الطبية اللازمة للمرضى، كالسرر والفرش والملابس الخاصة بالمرضى والروائح العطرة، وأنها كانت مقسمة إلى عدة قاعات، خصصت كل قاعة لمرض على نحو ما هو مألوف في بيمارستانات ذلك العصر، وتغطي قاعاته سقوف ذات أقبية متقاطعة، وسقوف برميلية[30].

كما قام السلطان صلاح الدين بترميم البيمارستان النوري العتيق بحلب وأمر بتوسعته، إذ وجد في هذا البيمارستان قاعة خاصة للنساء مكتوبًا عليها: عمر هذا المكان في دولة صلاح الدين الأيوبي يوسف بن أيوب[31].

وكان نظام الوقف زمن السلطان صلاح الدين ومن تلاه من سلاطين بني أيوب يمثل العمود الفقري للإنفاق على التعليم والصحة، إذ حرص أغلب منشئي المراكز التعليمية والطبية المختلفة على توفير أوقاف دارة، تقوم بتغطية نفقات تلك المراكز والمشتغلين بها، بحيث يكفل ذلك إستمرارها في أداء وظيفتها ورسالتها، وبذلك تميزت بالإستقلال المالي[32].

شاعت الأوقاف المخصصة للإنفاق على هذه المنشآت في العصر الأيوبي وكثرت، وإلى ذلك أشار إبن جبير قائلاً: "ولكل مشهد من هذه المشاهد أوقاف معينة في بساتين وأرض بيضاء ورباع، حتى إن البلد تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيها"[33]. وتذكر المصادر أن السلطان صلاح الدين أوقف على البيمارستان الصلاحي بالقدس أوقافًا عديدة منها بيوت في محلة القطانين، وباب العمود، ومحلة حطة، ودكاكين في سوق الزيت ومخازن مختلفة[34]. كما أوقف على بيمارستان عكا أوقافاً دارة، وولى نظر ذلك إلى قاضي عكا جمال الدين ابن الشيخ أبي النجيب[35]، وقد دفع ذلك الكثير من العلماء والأطباء إلى الوفود إلى بلاد الشام حيث الأوقاف السخية التي توفر أسباب العيش الكريم، وتكفل لهم الاشتغال بالعلم وتحصيله دون نصب أو تعب.

وإلى جانب هاذين البيمارستانين الذين بناهما صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام، فلا شك ولا ريب أن له جهوداً أخرى في رعاية البيمارستانات السابقة لعصره من خلال الإنفاق عليها، وتزويدها بالأدوية والعقاقير اللازمة لعلاج المرضى، فضلاً عن رفدها بالكادر الطبي المتميز من مشاهير الأطباء الذين خدموا بصناعة الطب في بيمارستانات الشام، بدعم ورعاية من السلطان صلاح الدين الأيوبي[36].

2- مظاهر اهتمام السلطان صلاح الدين الأيوبي بعلماء الطب في بلاد الشام ورعايته لهم:

كانت بلاد الشام إبان عصر السلطان صلاح الدين محط أنظار العلماء من الأقطار الإسلامية المختلفة؛ لما يحظى العلماء في هذه البلاد من التشجيع والإكرام والإنعام والرعاية، وسبل العيش المعينة على طلب العلم والإنتاج العلمي في العلوم والمعارف المختلفة. يقول الطبيب عبداللطيف البغدادي: "ولما دخلت دمشق وجدت فيها من أعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الإحسان الصلاحي جمعًا كثيرًا"[37].

وكان للأطباء خاصة في بلاد الشام من لدن السلطان صلاح الدين ووزرائه الإحسان الكبير، والأفضال الغزيرة، والمنزلة الرفيعة، والرواتب الوفيرة، والصلات المتواترة، إذ يروي ابن أبي أصيبعة في كتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) قصصًا عن الهبات العظيمة التي كان السلطان صلاح الدين يغدقها على بعض الأطباء، والرواتب الخيالية التي كانت تصرف للبعض الآخر ممن أناط بهم العمل في البيمارستانات، سواء المبنية من قبل، أو التي قام ببنائها[38]. كما نلحظ صورًا متميزة لتلك العلاقة القوية والمتينة التي ربطت أعلاماً من الأطباء المشهورين بالسلطان صلاح الدين إلى درجة أن بعضهم

لازمة ولم يفارقه سفرًا أو حضرًا[39]، ونجد منهم من كتب بعض مؤلفاته بإسم السلطان[40]؛ إما لما بينهما من مودة، أو طلبًا للعطاء والمال، أو إظهارًا لكتابه.

والجدير بالذكر، أن السلطان صلاح الدين كان يصطحب الأطباء ويقربهم إليه، ويستعين بخدماتهم، ويغدق عليهم الهبات والعطايا، ويوفر لهم سبل العيش الكريم، والمنزلة الرفيعة دون أي إعتبار لعقائدهم، أو أجناسهم، أو مناطقهم وبلدانهم. ولذلك نجد منهم النصراني، واليهودي، والعربي. وإجتمع ببلاد الشام جمع كبير من العراق ومصر وبلاد فارس والمغرب والأندلس، أسهموا في ازدهار الحركة العلمية الطبية وتطورها، ومارسوا هذه المهنة الشريفة، وقاموا بعلاج المرضى في البيمارستانات والعيادات والدور الخاصة، فضلاً عن اشتغالهم في حقل التدريس والتأليف في المجال الطبي[41]، وفي ذلك تأكيد على مدى إهتمام صلاح الدين بالفكر والأدب. وطبيعي أن ينعكس ذلك على الحياة العلمية الطبية بصورة إيجابية.

ولو أردنا سرد جميع علماء الطب في بلاد الشام الذين عاصروا السلطان صلاح الدين واستقصاءهم لطال بنا المقام؛ لذا سوف نركز –حصراً-على الأطباء الذين عملوا بمعية السلطان، أو الذين اتصلوا به، أو كلفوا من قبله للعمل في البيمارستانات لمعالجة المرضى، أو عملوا في مجال التدريس والتأليف في العلوم الطبية، وحازوا على نصيب وافر من إهتمام السلطان وتشجيعه ورعايته وإحسانه.

ومن الأطباء الذين حظوا عند السلطان صلاح الدين بمكانة رفيعة، ورعاية فائقة: مهذب الدين أبو الحسن علي بن أبي عبدالله عيسى بن هبة الله النقاش (ت: 574هـ)، ولد ونشأ ببغداد، وبها اشتغل بالطب على الطبيب المشهور أمين الدولة هبة الله بن صاعد[42]، ولازمه مدّة من الزمن، فعلا شأنه فيه، ثم رحل إلى بلاد الشام وأقام بدمشق، وعُرف بين الأطباء، حتى أصبح

أوحد زمانه في صناعة الطب، وكان له مجلس تعلمي في الطب، وتخرج على يديه عدد من الأطباء المشاهير، كمهذب الدين ابن الحاجب وغيره[43].

خدم بصناعة الطب السلطان نور الدين محمود زنكي في البيمارستان الكبير بدمشق، ثم خدم بعد ذلك السلطان صلاح الدين الأيوبي، وحاز على منزلة رفيعة عنده، وأصبح من المقربين منه[44]، ولم يترك في الطب مصنفات على شهرته وتميزه فيه.

ومن الأطباء الذين أثروا الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام بتشجيع من السلطان صلاح الدين ودعمه، الطبيب عفيف بن عبدالقادر بن سكره، وهو يهودي من أهل حلب، من أسرة أكثرهم من المشتغلين بالطب، كان ماهرًا في صناعة الطب، مشهورًا بأعمالها، وجودة النظر فيها، ولم يذكر ابن أبي أصيبعة سنة وفاته، وإنما ذكر أنه قد ألّف مقالة في (القولينج)[45]قدّمها للسلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 584هـ، ولذا فمن المرجح أن سنة وفاته بعد هذا التاريخ[46].

وممن حاز على نصيب وافرٍ من إهتمام السلطان صلاح الدين ورعايته، الطبيب موفق الدين أسعدبن إلياس بن أبي الفتح بن جرجس المطران (ت: 587هـ)، شيخ الأطباء ببلاد الشام[47]. يقول ابن أبي أصيبعة: "أمير أهل زمانه في علم صناعة الطب وعملها، وأكثرهم تحصيلاً لأصولها وجمعها، جيد المداواة، لطيف المداراة..."[48]. ولد ونشأ بدمشق من أسرة مشهورة بمهنة الطب، درس علوم اللغة والنحو والأدب وتميز فيها، لكنه برز في علم الطب وذاع صيته، وأصبح من مشاهير الأطباء، فخدم بعلمه الطبي السلطان صلاح الدين وحظي عنده، وكانت له المنزلة العالية إلى درجة أنه لا يفارق السلطان سفرًا أو حضرًا، ولقي منه الإكرام والعطاء الوافر، وكان من أشهر الأطباء الذين خدموا في الجيش الصلاحي، إذ كان له بيمارستان متنقل عبارة عن خيمة حمراء

تشبه خيمة السلطان صلاح الدين[49].

وقد أسلم الطبيب ابن المطران وكان نصرانيًا، وحسن إسلامه وهو عند السلطان، فأحسن إليه وأكرمه، وزوجه إحدى حظايا قصره وهي جارية زوجته[50]. "فرتبت أموره، وهذبت أحواله، وحسنت زيه، وجملت ظاهره وباطنه، وصار له ذكر سام في الدولة، وحصلت له أموال جمعها من أمراء الدولة في حال مباشرته لهم في أمراضهم، وتنافسوا في العطاء له وترقت له عند سلطانه إلى أن كاد أن يكون وزيرًا..."[51].

وكان لحسن علاقته بالسلطان صلاح الدين يقضي للأطباء مصالحهم ويتوسط لهم في أعطياتهم، وكانت له همة عالية، وحرص شديد على جمع الكتب الطبية ونسخها وترجمتها، وكان يبذل لأجل ذلك أموالاً كثيرة وجهدًا كبيرًا. واشتغل بتدريس الطب، وقرأ عليه جملة من الطلاب الكبار، من أشهرهم عبدالرحيم بن علي الدخوار[52]الذي مارس مع أستاذه مهنة الطب عمليًا داخل البيمارستان النوري، وكانت له اليد الطولى في علاج المرضى[53].

عاش الطبيب ابن المطران في ظل رعاية السلطان صلاح الدين حياة مرفهة تصل إلى درجة الترف، ومما يؤكد ذلك، ما ذكره الفقيه إسماعيل بن صالح البناء القفطي[54]، خطيب عيذاب[55]الذي قصد ابن المطران في داره ليتوسط له عند السلطان في توليته الخطابة بقلعة الكرك[56]، فرأى دار الطبيب ابن المطران وهي على غاية من الحسن في العمارة والتجمل، وأطنب في وصفها قائلاً: "ورأيت أنابيب بركته التي يبرز منها الماء وهي ذهب على غاية ما يكون من حُسن الصنعة، ورأيت غلاماً يتحجب بين يديه اسمه عمر في غاية جمال الصورة، ثم رأيت من الفرش والطرح، وشممت من الرائحة الطيبة ما هالني، وسألته الحاجة التي قصدته فيها فأنعم بإنجازها"[57].

وهذه الرواية تدل على المكانة الرفيعة التي حظي بها الأطباء عامة، وابن

المطران خاصة لدى السلطان صلاح الدين الأيوبي، كما توضح بجلاء سخاء السلطان وكرمه وإنعامه على علماء الطب، مما كان له أبلغ الأثر في إزدهار الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام.

ترك ابن المطران عدداً من الكتب والمقالات الطبية أهمها: "المقالة الناصرية[58]في حفظ الأمور الصحية"[59]، صنفها للسلطان صلاح الدين وهي مقالة موجزة ومختصرة[60]تشتمل على جملة من الأمور المتعلقة بحفظ الصحة، كالرياضة، والإستحمام، وطرق الأكل والشرب، والنوم واليقظة، والجماع[61].

ومنها كتاب (بستان الأطباء وروضة الألباء) [62]، أراد أن يكون جامعاً لكل ما يجده من ملح ونوادر وتعريفات مستحسنة مما طالعه أو سمعه من الشيوخ، أو نسخة من الكتب الطبية، ولم يكتمل من هذا الكتاب سوى جزأين فقط[63]، إذ يقول إبن أبي أصيبعة: "والذي وجدته بخط شيخنا الحكم مهذب الدين جزءان: الأول منه قرأه على ابن المطران وعليه خطه، والجزء الثاني ذكر مهذب الدين فيه أن ابن المطران وافاه الأجل قبل قراءته عليه"[64].

ومن مؤلفات ابن المطران أيضًا كتاب (الأدوية المفردة)، ويذكر إبن أبي أصيبعة أنه شرع فيه ولم يتمه، وكان قصد فيه أن يستوعب ذكر كل دواء على غاية ما يمكنه في محاولة لسد النقص الذي يراه سائدًا في تلك الفترة في كتب الأدوية المفردة[65].

ومنها كتاب: "اختصار كتاب الأنوار للكسدانيين، إخراج أبي بكر بن وحشية[66](اختصره وفرغ منه في رجب سنة581هـ[67]، ومن كتبه أيضًا (آداب طب الملوك)[68]، ومن عنوانه تظهر طرافة هذا الكتاب وأهميته، فلعل ذلك دفعه على تأليفه كثرة إتصال الأطباء في هذا العصر بالملوك والسلاطين، ولا ننس أنه كان يعمل طبيبًا لدى السلطان صلاح الدين.

وممن اتصل بالسلطان صلاح الدين وخدمه بصناعة الطب، الطبيب أبو الفرج النصراني (معاصرا للطبيب ابن المطران المتوفى سنة 587ه)، وكان طبيباً فاضلاً عالماً بصناعة الطب جيد المعرفة بها، حسن العلاج، متميزاً في زمانه، حاز على احترام السلطان وحظي عنده بمنزلة رفيعة، وأغدق عليه بأموال وافرة[69].

ومما يدل على مكانة هذا الطبيب لدى السلطان صلاح الدين، ما ذكره ابن أبي أصيبعة من أنه كان لأبي الفرج بنات لم يستطع تجهيزهن للزواج، فدخل على السلطان يوما وشرح له ظروفه المادية وعجزه عن تجهيز بناته، وطلب منه أن يطلق له ما يستعين به على ذلك، فقال له صلاح الدين أكتب في ورقة جميع ما تحتاج إليه في تجهيزهن، فكتب قائمة من المصاغ والقماش والآلات وغير ذلك ما يكون بنحو ثلاثين ألف درهم، فلما قرأ صلاح الدين الورقة أمر الخزندار بأن يشتري للطبيب أبي الفرج جميع ما تتضمنه ورقته، ولا يخل بشيء من ذلك[70].

ويدل ذلك على مدى إهتمام السلطان ورعايته لعلماء الطب، مما كان له الأثر البالغ في تدفق الكثير من الأطباء على بلاد الشام، ومن ثم الإسهام في الحركة الطبية وتنشيطها.

ومن الأطباء الذين اتصلوا بالسلطان صلاح الدين، الطبيب داود بن أبي المنى المعروف بأبي فانه (كان حيًا سنة583ه)، وهو من أهل القدس، كان فاضلاً في الصناعة الطبية خبيرًا بعلمها وعملها، متميزًا في العلوم، حاز على إحترام السلطان وإكرامه، واعتنى بأولاده الذين برع منهم أربعة في مهنة الطب[71].

ومنهم أيضًا الطبيب مهذب الدين أحمد بن الحاجب (ت: 592ه)، كان طبيبًا مشهورًا، فاضلاً في صناعة الطب، متقدمًا في العلوم الرياضية وعلم

النحو والأدب، وكان قبل اشتهاره بصناعة الطب على معرفة واسعة بالهندسة وفنونها، وقد عمل في خدمة الساعات التي في الجامع الأموي بدمشق[72]، ثم تميز في صناعة الطب على يد شيخه مهذب الدين ابن النقاش، وصار من جملة أعيانها، وخدم بصناعة الطب في البيمارستان النوري بدمشق، ثم خدم بالطب السلطان صلاح الدين إلى أن توفي[73].

كما حظي الطبيب أبو النجم ابن مالك النصراني (ت: 599هـ) بتشجيع السلطان صلاح الدين ورعايته، وأصبح من أشهر الأطباء في زمانه، جيد المعرفة بصناعة الطب محمود الطريقة فيها، اشتغل بتدريس علم الطب، وخدم بصناعة الطب السلطان صلاح الدين وأصبح من المقربين منه، وكان يعالج المرضى في الدور السلطانية وله من المؤلفات كتاب (الموجز في الطب)[74].

ومن الأطباء الذين حازوا على دعم السلطان صلاح الدين وتشجيعه عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله الجلياني الغساني الأندلسي (ت: 603هـ)، وهو طبيب وشاعر وأديب، كان علامة زمانه في صناعة الطب والكحل وأعمالهما، بارعًا في الأدب وصناعة الشعر، أتى من الأندلس إلى بلاد الشام، وأقام بدمشق إلى حين وفاته[75]، ومارس مهنة الطب في دكان له باللبادين[76]، وكان السلطان صلاح الدين يحترمه ويجله، وله في السلطان المدائح العجيبة، وصنف له كتبًا، وكان له من الإحسان الكثير والإنعام الوفير[77].

وللطبيب عبدالمنعم الجلياني من المؤلفات: كتاب (منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر) أتمه سنة (568هـ)[78]، وله شعر ونثر كثيران، جمع في عشرة دواوين، وصنف في الطب كتاب (تعاليق الطب) و(صفات أدوية مركبة)، وكان يخدم بمهنة الطب في الجيش السلطاني، ويعمل طبيبًا في البيمارستان بدمشق[79].

كما خدم الطبيب أبو منصور النصراني، بصناعة الطب السلطان صلاح

الدين، وكان يحترمه ويرى له، بقي في خدمة السلطان سنيناً، وكان طبيباً مشهوراً، عالماً بحسن المعالجة ومدارات المرضى[80].

وكان برهان الدين أبو الفضل سليمان الشريف ممن أجزل لهم السلطان صلاح الدين في العطاء، وأصله من مصر، ثم انتقل إلى بلاد الشام، وكان عالماً بصناعة الكحل، وافر المعرفة والفضل، متقنًا للعلوم الأدبية، بارعًا في فنون العربية، متميزًا في النظم والنثر، متقدمًا في عمل الشعر، خدم بصناعة الكحل السلطان صلاح الدين وكان له منه الجامكية السنية، والمنزلة العلية، والأنعام العام، والتفضل التام[81].

وممن حاز على قدر من إهتمام السلطان صلاح الدين ورعايته الطبيب أمين الدين أبو زكريا يحيى بن إسماعيل البياسي الأندلسي، كان من الفضلاء المشهورين والعلماء المذكورين، أتقن الصناعة الطبية، وتميز في العلوم الرياضية، رحل من المغرب إلى مصر وأقام بالقاهرة مدة، ثم رحل عنها إلى دمشق وأستوطنها، وقرأ بها على الطبيب مهذب الدين ابن النقاش ولازمه، وكتب له الستة عشر لجالينوس وقرأها عليه، وكتب بخطه كتباً كثيرة في الطب وغيره، وخدم بصناعة الطب السلطان صلاح الدين، وبقي معه في البيكار ثم استعفى من ذلك، وطلب المقام بدمشق فأطلق له السلطان جامكية يتناولها إلى توفي[82].

ومن الأطباء الذين خدموا بصناعة الطب السلطان صلاح الدين وحازوا على دعمه وتشجيعه وإكرامه، يعقوب بن صقلاب النصراني المقدسي(ت: 625هـ)، تتلمذ في القدس على الطبيب أبي منصور النصراني وباشر معه أعمال صناعة الطب، وانتفع بعلمه في مباشرة المرضى داخل البيمارستان الصلاحي[83]. قال عنه ابن أبي أصيبعة: "كان أعلم أهل زمانه بكتب جالينوس، ومعرفتها، والتحقيق لمعانيها، والدراية لها، وكان من كثرة اجتهاده في صناعة

الطب شدة حرصه ومواظبته على القراءة والمطالعة لكتب جالينوس، وجودة فطرته وقوة ذكائه. إن جمهور كتب جالينوس وأقواله فيها كانت مستحضرة له في خاطره، فكان مهما تكلم به في صناعة الطب على تفاريق أقسامها وتفنن مباحثها وكثرة جزئياتها إنما ينقل ذلك عن جالينوس..."[84]. ويدل ذلك على مدى تأثر الأطباء بالفكر الطبي اليوناني، وهو دليل-أيضاً-على إنفتاح الحضارة الإسلامية واستفادتها من تراث الحضارات الأخرى.

كان الطبيب يعقوب بن صقلاب كما يصفه ابن أبي أصيبعة: دقيقاً في تشخيص الأمراض، وعلاجه للمرضى في غاية الجودة والتميز، إذ كان يتحقق من معرفة المرض أولاً تحقيقاً لامزيد عليه، ثم يشرع في مداواته، وكان شديد البحث واستقراء الأعراض[85]، أقام في القدس سنين كثيرة يباشر عمله في البيمارستان الصلاحي بأمر من السلطان صلاح الدين، ثم رحل إلى دمشق في صحبة الملك المعظم عيسى، فكان يعتمد عليه في المعالجة، ملازمًا له[86].

ومن الأطباء الذين أثروا الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام بدعم من السلطان صلاح الدين وتشجيعه، الطبيب الكيميائي والعالم الموسوعي عبداللطيف بن يوسف البغدادي (ت: 629هـ)، ولد ببغداد، ثم رحل إلى معظم البلدان العربية ونهل من مخزون علمائها، وأصبح من أشهر العلماء المتضلعين في الطب وعلوم الأوائل، قدم إلى بلاد الشام قاصدًا دمشق مجمع العلماء، فجالس علماءها وناظرهم[87].

ولما فتح السلطان صلاح الدين بيت المقدسي سنة583هـ قصده الطبيب موفق الدين البغدادي طامعًا في كرمه وإحسانه، ويروي قصة ذهابه إلى القدس ولقاءه بالسلطان، فيقول: "...توجهت إلى القدس فرأيت ملكًا عظيمًا يملا العين روعة، والقلوب محبة، قريباً بعيداً سهلاً محبباً... وجدت مجلساً حافلاً بأهل العلم، يتذاكرون في أصناف العلوم وهو يحسن الإستماع

والمشاركة، ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك، ويأتي بكل معنى بديع ... فكتب لي صلاح الدين بثلاثين دينارًا في كل شهر على ديوان الجامع، وأطلق أولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار... ورجعت إلى دمشق، وأكببت على الإشتغال وإقراء الناس بالجامع..."[88].أولاد

كان للطبيب عبد اللطيف البغدادي موقف من الكيمياء مشهوراً بالشام[89]، فكان يناظر المشتغلين بها بدمشق[90]، وقد عكف على كتب القدماء وخصوصًا كتب ابن سينا، وأظهر موقفه منها بقوله: "وكلما أمعنت في كتب القدماء ازدادت فيها رغبة، وفي كتب ابن سينا زهادة، واطلعت على بطلان الكيمياء، وعرفت حقيقة الحال في وضعها ومن وضعها وتكذب بها، وما كان قصده في ذلك، وخلصت من ظلالين عظيمين موبقين، وتضاعف شكري لله سبحانه على ذلك، فإن أكثر الناس إنما يهلكون بكتب ابن سينا، وبالكيمياء"[91] وقد صنف في النقد الطبي كتباً ورسائل مهمة، منها: كتاب (النصيحتين للأطباء والحكماء) و (المحاكمة بين الحكيم والكيميائي) و (رسالة في المعادن وإبطال الكيمياء)[92].

وترك موفق الدين البغدادي تراثًا فكريًا ضخمًا ومتنوعًا شمل عدة علوم، وسنقتصر-في هذا المقام-على ذكر بعض مؤلفاته الطبية، فمن ذلك: كتاب (اختصار منافع الأعضاء لجالينوس)، و (شرح مسائل حنين ابن إسحاق)[93] ومقالة في (المبادئ في صناعة الطب)، ومقالة في (حد الطب)، ومقالة في (آلات الطب)، وشرح كتاب (الفصول لابقراط)، وشرح كتاب (تقدمة المعرفة لابقراط) و (اختصار شرح جالينوس لكتاب الأمراض الحادة لابقراط)، و(اختصار كتاب الأدوية المفردة لابن واقد)، وكتاب (الكفاية في التشريح)، ومقالة في (الحواس ومدركاتها ومراتبها ونسب بعضها إلى بعض)، ومقالة في (مرض ديابيطس والأدوية النافعة)[94].

ومن الأطباء الذين حظوا برعاية السلطان صلاح الدين وإنعامه، الشيخ الحكيم الإمام العالم رضي الدين أبو الحجاج يوسف بن حيدرة الرحبي (ت: 631هـ)، كان مولده بجزيرة ابن عمر[95] ونشأ بها، اشتغل بصناعة الطب وتميز فيها، وحاز على شهرة واسعة وذكر شائع عند الخواص والعوام، كان وصوله مع أبيه إلى دمشق سنة 555هـ، وتتلمذ على أشهر الأطباء فيها، وكان له دكان لمعالجة المرض ونسخ الكتب الطبية[96].

خدم بصناعة الطب السلطان صلاح الدين وحسن موقعه عنده، وأطلق له في كل شهر ثلاثين دينارًا، وطلب منه أن يكون ملازمًا للقلعة والبيمارستان وعمل بهما مدّة حكم السلطان صلاح الدين[97]، وصنف خلالها عددًا من الكتب، منها: (تهذيب شرح ابن الطيب لكتاب الفصول لابقراط) و(اختصار كتاب المسائل لحنين بن إسحاق) كان قد شرع فيه ولم يكمله[98].

- **الخاتمة:**

يمكن أن نوجز أهم النتائج والاستخلاصات التي توصلت إليها هذه الدراسة في الآتي:

1- إن السلطان صلاح الدين الأيوبي واحد من أكثر الحكام المسلمين إهتماماً بالعلم والعلماء، وبناء المدارس والمساجد والبيمارستانات، فهو بحق رجل علم بجانب كونه قائدا سياسياء وعسكرياً محنكاً، حرر أرض المسلمين من الغزاة الصليبيين.

2- إن جهود السلطان صلاح الدين الأيوبي في بناء البيمارستانات الطبية والتعليمية، ورفدها بالكادر التعليمي الطبي المتميز، وتزويدها بالأدوية والعقاقير الطبية اللازمة، وتوزيعها على المرضى مجاناً، ووقف الأوقاف المخصصة للإنفاق في المجال العلمي الطبي، وجهوده

في تهيئة بيئة علمية طبية ملائمة في بلاد الشام؛ دراسة، وتدريساً، وتأليفاً، كانت من أهم عوامل ازدهار الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام في عصره.

3- إن السلطان صلاح الدين كان يصطحب الأطباء ويقربهم إليه، ويستعين بخدماتهم، ويغدق عليهم الهبات والعطايا، ويوفر لهم سبل العيش الكريم والمنزلة الرفيعة، دون أي اعتبار لعقائدهم، أو أجناسهم، أو مناطقهم أوبلدانهم، مما كان له الأثر الايجابي في أدى عملهم المهني، ونشاطهم العلمي.

الهوامش:

1- ينظر: أبو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1413هـ، ج6 ص227، 228؛ الصلابي، علي بن محمد، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، بيروت، دار المعرفة، 2429هـ/2008م،ص227؛ عبد المهدي، عبد الجليل حسن، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، عمّان، مكتبة الأقصى، 1984، ص49، 51.

2- الأصفهاني، عماد الدين، الفتح القسّي في الفتح القدسي،القاهرة، دار المنار، 2004م، ص342.

3- الأصفهاني،الفتح القسي ص 84.

4- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، (رحلة ابن جبير)، بيروت، دار صادر،1964م، ص244.

5- أبو علي عبدالرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد على بن القاضي

السعيد اللخمي، العسقلاني المولد، المصري الدار، المعروف بالقاضي الفاضل، الملقب مجير الدين، وزر للسلطان الناصر صلاح الدين، وتمكن منه غاية التمكين، وبرز في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين، توفي بالقاهرة سنة 596هـ.(للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر،(د.ت)، ج3ص158-162.

6- أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي، قاضي حلب، المعروف بابن شداد، والملقب بهاء الدين، الفقيه الشافعي، اشتهر برجاحة العقل، وسداد الحكم والرأي، تعرف على السلطان صلاح الدين عن قرب، وأصبح صديقه ومن أخص خواصه. له جملة من المؤلفات التاريخية منها: كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، توفي سنة 632هـ.(للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ج7ص84-100).

7- أبو عبدالله محمد بن صفي الدين أبي الفرج محمد بن حامد بن هبة الله، الملقب عماد الدين، الكاتب الأصفهاني، كان فقهياً شافعياً، أتقن الخلاف وفنون الأدب، له من الرسائل والأشعار ما يغني عن الإطالة في شرحه، تعرف على السلطان صلاح الدين وكان يغشى مجالسه وينشده مدائحه، ولم يزل على ذلك حتى نظمه في سلك جماعته، واستكتبه واعتمد عليه وقربه منه، حتى صار يضاهي الوزراء ويجري في مضمارهم، له العديد من المصنفات الأدبية والتاريخية منها: كتاب خريدة القصر وجريدة العصر، وكتاب البرق الشامي، وكتاب الفتح القسي في الفتح القدسي، توفي سنة 597هـ.(للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ج 5 ص147-152).

8- ينظر:السيوطي، محمد بن أحمد، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، تحقيق: أحمد رمضان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م، ج1 ص 211؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين ص 114.

9- علي بن عبدالله بن حمدان التغلبي(303-356هـ)، مؤسس الإمارة الحمدانية في حلب.(ينظر المزيد عنه: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3 ص401-406).

10- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق:

سامي الدهان، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1968م، ج3 ص 125.

11- ينظر: ابن شداد، بهاء الدين، النوادر السلطانية، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، مطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1964م، ص31؛ وينظر أيضاً: النعيمي، عبدالقادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسيني، دمشق، مطبعة الترقي، 1948م، ج1 ص606.

12- كرد، محمد كرد علي، خطط الشام، دمشق، مطبعة الترقي، 1927م، ج4 ص39.

13- بنظر: أبوشامة، الروضتين ج2ص114؛ العليمي، مجير الدين، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس وعبدالمجيد أبو ثبانة، الخليل، مكتبة دنديس، 1990م، ج2ص 385-398.

14- ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، الكامل في التاريخ،تحقيق: أبي النداء عبدالله القاضي، بيروت، دار الكتب العلمية ط2، 1998م،ج10ص84؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ج6 ص49؛ أبو شامة، الروضتين ج4ص332.

15- ينظر: تفاصيل ترجمة الطبيب موفق الدين عبداللطيف البغدادي (ابن ابي أصيبعة، عيون الانباء ج2 ص 206-213).

16- ابن شداد، النوادر السلطانية ص 156.

17- عن كنيسة القمامة ينظر: الأصفهاني، الفتح القسي ص67.

18- العليمي، الأنس الجليل 1420هـ، ج1 ص 537.

19- ينظر: الأصفهاني، الفتح القسي ص 95؛ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، 1957م، ج2 ص 408؛ ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، بيروت، دار المعارف، 1412هـ/1991م؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ج6ص49.

20- النويوي، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، وحكمت كشلي فواز، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ/2004م، ج28ص 293.

21- أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ج2 ص 133.

22- ينظر: عارف باشا العارف، تاريخ القدس، القاهرة، دار المعارف، ط2، (د.ت) ص80.

23- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشره اوجست ملر، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ألمانيا، 1995م، ج2 ص216.

24- ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص 215.

25- ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص 202-206.

26- ينظر: ابن الأثير، الكامل ج10 ص 84؛ أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ج6 ص 49؛ البابا، مؤمن أنيس عبدالله، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، رسالة ماجستير قدمت إلى قسم التاريخ والآثار بكلية الآداب بالجامعة الإسلامية، غزة، 1430هـ/2009م، ص109-111.

27- عن جهود بهاء الدين قراقوش العمرانية في مدينة عكا، ينظر:الأصفهاني، الفتح القسي ص115.

28- الأصفهاني، الفتح القسي ص100.

29- ينظر: العيني، بدر الدين محمود، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق ودارسة: محمود رزق محمود، القاهرة، دار الكتب الوثائق القومية، ط2، 2010م، ج2 ص83؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج12ص327.

30- ينظر: البابا، البيمارستانات الإسلامية، ص105، 106.

31- أحمد بن عيسى، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م، ص 143.

32- ينظر: أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود، المختصر في تاريخ البشر، علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب، بيروت، دار الكتب العلمية، 1417هـ، 1997م، ج2 ص157.

33- ابن جبير، رحلة ابن جبير ص213.

34- حمارنة، سامي خلف، "الطب العربي في فلسطين في زمن الفاطميين والأيوبيين"، المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام، ط1، المجلد الثاني، الجامعة الأردنية، عمان، 1403هـ/1983م، ص12.

35- ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية ج12ص327؛ العيني، عقد الجمان ج2ص83.

36- ستأتي الإشارة إلى بعض مشاهير الأطباء الذين خدموا في البيمارستانات السابقة لعصر صلاح الدين في المبحث الثاني من هذه الدراسة.

37- ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباءج2 ص204.

38- ينظر على سبيل المثال: ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ج2، ص177،177،176،163، 206،193،192،183.

39- ينظرج ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء 2 ص175.

40- ج2 ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ص159.

41- ينظر تفاصيل ذلك: المبحث الثاني من هذه الدراسة.

42- أمين الدولة هبة الله بن صاعد: أوحد زمانه في صناعة الطب، وفي مباشرة أعمالها، صنف كثيراً من المؤلفات والحواشي على كتب الطب، وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي، متبحراً في اللغة والأدب العربي.(ينظر تفاصيل ترجمته: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباءج1ص259.

43- ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2ص162؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، دار النشر فرانزشتايز شتوتغارت، 1412هـ/1992م، ج21 ص378،377.

44- ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص 162، 163؛ البنداري، قوام الدين الفتح بن محمد، سنا البرق الشامي، تحقيق: رمضان ششن، بيروت، دار الكتاب الجديد، 1971م، ص 305.

45- القولينج:مرض معوي يعسر معه خروج الثفل والريح. (ينظر: القوصوني، مدين عبدالرحمن المصري، قاموس الأطباء وناموس الألباء، دمشق، أعادت تصويره بالأوفست دارالفكر،1399هـ/ 1979م، ج1 ص97.

46- ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص 164.

47- الصفدي، الوافي بالوفيات ج9ص41،40.

48- عيون الأنباء ج2ص175.

49- ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2ص175؛ الذهبي، شمس الدين محمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف وزملائه، بيروت، دارالكتاب العربي، 1417هـ،(حوادث سنة581-590هـ) ص264،263.

50- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2ص176؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ج9ص40.

51- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2ص176.

52- مهذب الدين أبو محمد عبدالرحيم بن علي الدخوار، ولد ونشأ بدمشق، كان أوحد عصره وفريد دهره وعلامة زمانه، وإليه انتهت رئاسة صناعة الطب ومعرفتها على ما ينبغي وتحقيق كلياتها وجزئياتها، له عدد من المؤلفات الطبية.(ينظر تفاصيل ترجمته: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2ص 239-246).

53- ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2ص176؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ج9ص41-43.

54- لم نجد له ترجمة في المصادر التي تسير لنا الاطلاع عليها.

55- عيذاب: بليدة على ظفة بحر القلزم، هي مرسى المراكب القادمة من عدن الى الصعيد (ينظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، معجم البلدان، بيروت، دارصادر، 1397هـ/1993م، ج4 ص171).

56- الكرك: قلعة حصينة جداً، تقع في طرف بلاد الشام من نواحي البلقاء.(ينظر: الحموي، معجم البلدان ج4ص453).

57- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص176-178.

58- ذكر ابن أبي أصيبعة أنه وجد نسخة هذا الكتاب بخط ابن الجمالة كاتب ابن المطران عنوانه" المقالة النجمية في التدابير الصحية "، وفسر ذلك أن ابن المطران قد صنفها لنجم الدين ابن أيوب والد السلطان صلاح الدين؛ ولأنها لم تكتمل إلا بعد وفاة نجم الدين جعلها باسم ولده.(ينظر: عيون الأنباء ج2 ص181).

59- منه نسخة في مكتبة الأسد برقم (736) (طب حساب) ملف/م، عدد ورقها31 ورقة، وأخرى مصورة بمعهد التراث العلمي بحلب برقم (1070)، (طب) عدد ورقها91 ورقة.

60- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص 181.

61- بنظر: فهرس المخطوطات المصورة بمعهد التراث العلمي بحلب.

62- توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم المكي الشريف بمكة المكرمة، فيلم رقم (2672).

63- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص181.

64- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص181.

65- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص181.

66- أحمد بن علي المختار بن عبدالكريم الكلداني المعروف بابن وحشية، عالم بالفلاحة والكيمياء والفلك، توفي سنة350هـ. (ينظر ترجمته: ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب، الفهرست، بيروت، دار المسيرة، ط3، 1988م، ص504،433).

67- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2ص181.

68- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص 181.

69- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص183.

70- ينظر: ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء ج2ص176.

71- ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباءج2 ص122.

72- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباءج2 ص181.

73- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص182،181.

74- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء ج2ص183.

75- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء ج2ص157.

76- اللبادين: نسبة إلى عمل اللبود من الصوف، وهو موضع في دمشق مشرف على باب جيرون. (ينظر: الحموي، معجم البلدان ج5ص10).

77- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباءج2ص159.

78- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباءج2ص159؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (حوادث سنة601-610هـ) ص349.

79- ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباءج2ص159.

80- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباءج2ص183.

81- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباءج2 ص 183.

82- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباءج2ص163.

83- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباءج2 ص214؛ القفطي، الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، علق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، 2005م، ص281.

84- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباءج2ص214.

85- ينظر: عيون الأنباءج2ص215.

86- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص214؛ القفطي، أخبار العلماء ص281؛ أحمد عيسى، البيمارستانات ص147،146.

87- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباءج2 ص202؛ الذهبي، تاريخ الإسلام (حوادث سنة621-630هـ) ص626،624.

88- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباءج2ص206.

89- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباءج2ص206.

90- أمثال: الشيخ عبدالله النائلي الذي كان مقيماً في الجامع الأموي بدمشق وله طلبة يشتغلون عليه بالكيمياء، وقد شنع عليه الفقهاء وكتبوا إلى السلطان صلاح الدين، فخرج يشكوهم والسلطان في حصارعكا، فلما مات ابن النائلي أخذت كتبه شحنة دمشق.(ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباءج2 ص205،204).

91- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص 206.

92- ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص 213.

93- نسخة منها في مكتبة برلين برقم(881).

94- للمزيد من التفاصيل عن مؤلفات الطبيب عبداللطيف البغدادي ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ج2 ص 211-213.

95- جزيرة ابن عمر:بلدة فوق الموصل، يحيط بها دجلة الا من ناحية واحدة شبه هلال، ثم عمل هناك خندق أجري فيه الماء ونصبت عليه رحى فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق. (ينظر: الحموي، معجم البلدان ج2ص138).

96- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباءج2ص193،192؛ النعيمي، الدراس في تاريخ

المدارس ج2 ص 128.

97- ابـن أبي أصـيبعة، عيـون الأنبـاءج2 ص193،192؛ النعيمي، الـدراس في تـاريخ المدارس ج2 ص 128.

98- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباءج2ص195.